٦ ــ دراسة التحيّز

في التصميم المعماري

م. سهير حجازي

شهدت القرون الأخيرة بزوغ نجم الحضارة الغربية والتي سعت تدريجيًا لبسط سيطرتها وهيمنتها على أرجاء المعمورة بدءًا بالسيطرة العسكرية ثم تطورت هذه السيطرة إلى سيطرة اقتصادية تصاحبها التكنولوجيا، وقد حرصت الدول الغربية على الاستيلاء المعنوي على الأفراد ـ إن صح هذا التعبير ـ فعملت على مد تأثيرها وسيطرتها إلى العادات، واللغة، والأدب، والسلوك، والذوق، والثياب، وذلك اعتمادًا على إبهار الحضارة الغربية؛ وتألقها فتمكنت رويدًا رويدًا من أن تسلب الحضارات الأُخرى شخصيتها، وتعمل على محو جذورها وأن تلقي في روع الجميع بصورة مستترة أن اعتناق مظاهر الحضارة الغربية هو السبيل الوحيد للرقي والازدهار واللحاق بقطار العصر، وما عداها إنما هو ردة إلى التخلف، ودعوة إلى الإنغلاق، وتأخرًا عن اللحاق بقطار التقدم والرخاء.

والإسلام كدين له تصوّر خاصّ عن الكون والحياة والوجود والإنسان، وهو تصور مغاير لكافة التصورات البشرية ـ قديمها وحديثها ـ ولذا فهو تصور له مفاهيمه الخاصة، ويصبغ معتنقيه بتكوين فكري خاص، وبنية شعورية مستقلة، ومن ثم له أولويات خاصة، ونقاط بدء خاصة، وله أيضًا غاياته الخاصة. يقول النبي ـ ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري في الأدب المفرد: «**إنّما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق**».

وقد لازمت هذه السمة الأخلاقية هذه الأمة؛ فكان السمت الأخلاقي الرفيع عنصرًا بارزًا في كيان الدولة.

أما البشرية اليوم وقد أسلمت قيادها للحقبة الغربية فهي تتعبد «التكنولوجيا» فيقول الكاتب الألماني «ماكس فريسن»: «إننا لم نعد نتحكم فيما يجب أن تؤديه التكنولوجيا، وإنما نرى التكنولوجيا تتحكم فينا، وتدفعنا إلى ما لا نهاية له»[1].

والعمارة كمظهر هام من مظاهر المجتمع وركن أساسي في ثقافته، وانعكاس صادق لفكره وقيمه، تأثّرت كغيرها بتيار التغريب؛ مما أفقدها جزءًا كبيرًا من مضمونها؛ وبالتالي تشكيلها؛ فجاءت متضاربة غير متناسقة.

وحتى الآن لم تنجح الدول العربية في الوصول إلى صياغة مناسبة لثقافتها، وإرساء لقواعد اجتماعية خاصة بمجتمعاتها، ونمط حياة مواطنيها، وطراز معماري محلي خاص بها لعدة أسباب منها:

١ ـ الانبهار بالحضارة الغربية

جاءت تيارات التغريب في نهايات القرن التاسع عشر إلى الأمة الإسلامية على يد الحملة الفرنسية، فكانت الأمة قد تهيأت لها بكل أسباب الوهن، التي لا يتسع المجال هنا لإفرادها. فالشريعة قد تحجر فقهها كالصخرة في عقل البشر؛ فتوقف الفقه، وعمَّ التقليد والكسل، وعقيدة التوحيد الخالصة شابها الكثير من ظلال الفلسفة والصوفية والملل الإنساني.

ولم تأتِ الحملة الفرنسية بجيشها المنظم الحديث فحسب، ولكن بجيش آخر أكثر خطورة؛ وهو جيش من العلماء الفرنسيين عكفوا على دراسة وتحليل شتى جوانب الحياة في مصر.

---

(١) أ. عبد الجواد يس **تطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر**، القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٩١، ص ٣٤.

وبعد أن خرج الفرنسيون من مصر بعد ثلاث سنوات، استيقظ المجتمع المصري على إحساس بقوة هذا الغرب، وانبهار بتقدمه؛ سرعان ما لازمه شعور كامن بالدونية والنقص.

وبعد ذلك أسلمت مصر للاحتلال العسكري البريطاني الذي استمر حوالي سبعين عامًا، وقد تمزقت الحقبة الغربية عن تيار التحديث القائم على اختيار النمط الحضاري الغربي العام، باعتباره نمط الحضارة المتمدينة الأعلى. وما زال هذا الاختيار ممتدًا حتى الآن.

٢ ـ العملية التعليمية، ونقص الدراسات والمراجع

يكاد يكون الفكر الغربي هو الفكر الوحيد المطروح في المناهج التعليمية لطلبة الدراسات المعمارية في العالم العربي والإسلامي، وذلك دون النظر في أصول هذا الفكر، ومدى ملاءمته للمجتمع المصري والعربي عمومًا.

فيوجد نقل شبه كامل لأساليب التدريس من كليات العمارة في الغرب، وكذلك نقل للمناهج والكتب موضع الدراسة؛ بحيث يكون الفكر والمنهج الغربي هو المنهج الوحيد المطروح أمام الطالب في الدول الإسلامية، وذلك نتيجة سياسة البعثات.

فعندما تكون الأمة الناقلة هي الطرف الأدنى، والجانب الأضعف، تفقد قدرتها على الانتقاء، أما إذا كان الناقل هو الأعلى والأقوى بزاده الحضاري الأصيل، فيصبح هذا الزاد مانعه من التردي في المحاكاة والذوبان[٢].

---

(٢) سبق للأمة الإسلامية أن ووُجِهَتْ بتحديات حضارية أجنبية مثل صدامها بالحضارة الهلينية، ذات الجذور الغربية والشرقية المتباينة، وكانت نتيجة المواجهة أنها لم تخرج منها منتصرة وسالمة فحسب، بل استطاعت أن تذيب هذه الحضارة في وعائها وتستوعبها في إطارها لأن الأمة حينذاك كانت تأخذ الإسلام كمنهج حياة، وقد أثارت هذه النتيجة الدهشة عند بعض كتاب الغرب، كما عبر الكاتب الإنكليزي «مونتغري وات» بقوله: =

وبينما يحدث إسهاب في توضيح النظريات المعمارية الغربية، نجد عدم التركيز على النواحي الإبداعية والإبتكارية، والبيئية للتراث المعماري للمسلمين في عصور الإسلام الأُولى في مدى استجابته لتعاليم الإسلام، والاكتفاء بالإشارة إلى عناصر المبنى، أو تاريخ إقامته، واسم الطراز الذي يتبعه، مما أدى إلى وضع العديد من المحددات أمام النظرية المعمارية النابعة من تعاليم الإسلام، لا من قبل المعماريين في الغرب فحسب، ولكن أيضًا من قبل المعماريين المسلمين الذين سيطرت عليهم النظرية الغربية فكريًا ومنهجيًا. فحتى الآن، غالبًا ما يكون اللجوء للطرازالغربي لتنمية المدن في أي دولة إسلامية هو الخيار المقنع للمتخصصين والمخططين والمعماريين على السواء.

ولا بد أن نذكر سببًا هامًا لذلك هو: «النقص الكامل للدراسات التحليلية للمدينة العربية التراثية» فعدم صياغة منهج علمي ينقل نظرة تصميم المجتمعات تبعًا لأصول الشريعة الإسلامية من مستوى الفكر إلى مستوى التطبيق، وما يلزم ذلك من فهم لما يدخل في هذا المنهج من علوم ومعارف، وما يستلزمه التطبيق من رعاية سيظل دائمًا عائقًا أمام تعاليم الإسلام المؤثرة على التصميم المعماري، بالإضافة لعدم تقديم الدعم والمساندة المادية والعلمية في إجراء البحوث التي تتناول علاقة تعاليم الإسلام بالتصميم المعماري، وكل ذلك يعتبر مسؤولية العلماء والباحثين، لأن أي بداية لنظَرية معمارية لا بد وأن يسبقها وفرة في المراجع والدراسات، وترجمة معاصرة لكتابات علماء المسلمين الأوائل بخصوص العمران.

= «إننا لنجد شيئًا لا يكاد العقل يصدقه، حين نقرأ عن كيف تحولت الحضارات القديمة في الشرق الأوسط إلى حضارة إسلامية». أ. عبد الجواد يس - مرجع سابق، ص ٨.

٣ ـ اهتمام الفكر الغربي بإبراز المقومات الشكلية والزخرفية للتراث الإسلامي

اهتم الفكر الغربي بإبراز المقومات الشكلية والزخرفية، حتى يرسخ في وجدان المعماري العربي؛ ويطغى على القيم الحضارية الإسلامية كمنهج للحياة، بينما لو حاولنا تقييم تلك العمارة الزخرفية والتي ظهرت في العصور المتأخرة، بعد أن ضاعت الروح الحقيقية للإسلام في عصوره الأولى؛ طبقًا للمعايير العقائدية للإسلام، لوجدناها تهبط لأدنى معايير المستويات العمرانية التي تتناسب مع تعاليم الإسلام، رغم أنها ترقى لقمة الأعمال التشكيلية والفنية. فالاهتمام بالتراث كشيء ذي قيمة يأتي من أن الأشكال التراثية تشكل أكثر المصادر أهمية لمعلوماتنا ومعارفنا، ولكننا للأسف قد اعتدنا على النظر إلى عناصر التشكيل العمراني كالمشربية، والقبة، والعقد كمظاهر للتراث والأصالة بدون أي محاولة لاكتشاف الأسباب وراء استعمال هذه العناصر.

وبذلك ساد الاعتماد بأن هذه العناصر لا تخضع للتغيير، فإذا أردنا المحافظة على الاستمرارية مع الماضي لا بد وأن نستمر في استعمال هذه العناصر، بينما دراسة هذه التشكيلات داخل بيئتها الاجتماعية والحضارية سيجعل النتيجة ككل مختلفة.

فإذا نظرنا إلى المهتمين حاليًا من المعماريين العرب والمسلمين بتبني الدعوة للاهتمام بالتراث، فنجد أن هذه الدعوة قد نبعت بصفة أساسية من المنهج التحليلي «للعمارة الأثرية»، وليس من المنهج التحليلي «للعقيدة الإسلامية»، وذلك إما: بإضفاء عدد من عناصر العمارة الأثرية على التصميمات الحديثة؛ باقتباس تشكيلات زخرفية وفراغية، أو باستخلاص أسس تصميمية تطبق شكليًا، وكل هذه الاتجاهات تضع المعماري المسلم في قالب الشكل، وتبعده عن المضمون وتعاليم الإسلام، بينما الإسلام هو دين الجوهر، أما الشكل فأمر زائل ومتغير.

وقد كان علماء المسلمين القدامى على وعي تام بهذه المسألة، «فابن خلدون» مثلاً في حديثه عن العمارة لم يتطرق إلى أي منطلق وصفي أو

تحليلي للمبنى المفرد، ولكنه تطرق للعمارة بمفهومها الأشمل من جوانبها الاقتصادية، والاجتماعية، والحرفية، والعقائدية.

فقد كانت نظرته للعمارة من خلال المضمون الحضاري أو الإسلامي الشامل، والشكل لم يكن له شأن إلا بصورة عابرة؛ لأنه وليد المضمون ومكمل له، فالفكر الإسلامي يبحث في أمور العمران بمضمون أشمل وهو: «المضمون الاجتماعي».

فهل كان تبني الدول العربية في عصرنا الحالي للنظريات الغربية في العمارة بديلاً ناجحًا يغنيها عن محاولة الوصول لطراز معماري محلي يميزها؟ وهل نجحت تلك النظريات في تلبية الاحتياجات الإنسانية للمستعملين؟ وهل أضفت مظاهر التقدم والرقي على مجتمعاتنا حقًّا؟

إذا عدنا إلى بدايات هذا القرن نجدْ أن المعماريين الأوروبيين قد نجحوا في دفع المجتمع العالمي ـ ومن ضمنه مصر والدول الإسلامية ـ لتبني طرازًا معماريًّا سمي: «بالطراز الدولي»[٣] بدعوى توحيد طريقة التفكير المعماري، وأسلوب حل المشاكل المعمارية والتخطيطية، وقد تسابق المعماريون في شتى بلاد العالم لتبني «الطراز الدولي» وتطبيقه، وذلك انبهارًا بأهدافه وأسسه من ناحية، وانبهارًا بحضارة المجتمعات الغربية من ناحية أُخرى، وقد كانت أهم أهداف «الطراز الدولي»:

١ ـ تحقيق وفر اقتصادي في التكاليف، والمجهود، وزمن التنفيذ، كنتيجة لإنتاج الجملة من حوائط سابقة الصب، بأبعاد ثابتة، ونماذج موحدة للأبواب والنوافذ، مع الالتزام بطراز ثابت للتصميم، والحرص على التماثل والتكرار.

٢ ـ إلغاء الخطوط المنحنية واستبدالها بخطوط مستقيمة، وزوايا قائمة حرصًا على البساطة والوضوح وسهولة الإدراك، وكذلك سهولة الإنتاج الآلي.

---

(٣) الطراز الدولي هو محصلة أفكار بعض المعماريين العالميين وأشهرهم «والتر جروبياس» و «ميس فان ديروه» و «ليكور بوزييه».

٣ ـ استغلال التكنولوجيا في الأشكال المعمارية، وعلى سبيل المثال: الواجهات الخارجية المكسوة ببانوهات سابقة التجهيز باستعمال مواد معظمها مصنع آليًا مثل: الزجاج، والبلاستيك، والألومنيوم، والحديد، وغيرها مما يحقق سرعة في الإنجاز، فيمكن مثلاً تغطية واجهة عمارة بمتوسط ارتفاع ثلاثين طابقًا في عدد من الأيام لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

٤ ـ اتخاذ الإنشاء كأساس للتصميم بدلاً من الانتفاع، لأن الانتفاع مؤقت ومتغير، والإنشاء هو الشيء الثابت والدائم والمنطقي.

٥ ـ التصميم بالحذف، فقد حذفت نهايات المباني الزائفة من الزخارف والنقوش الجبسية، والتي كانت تخفي السقف الأساسي وراءها، وذلك تشبهًا بالآلة التي يؤدي كل خط فيها وظيفة محددة. فالتماثل ودقة التنفيذ يجب أن يكونا مصدر الجمال في التصميم المعماري.

٦ ـ رفع المستوى الحضاري للسكان بتصميم بيئة راقية لهم ـ من خلال مقاييس المصمم ـ توفر الحياة المثالية والمريحة من فتحات زجاجية واسعة تدخل الإضاءة والهواء، وتحقق الاستمرارية بين الداخل والخارج.

٧ ـ تجميع عدة مساكن على فراغات مفتوحة لإتاحة وجود مناطق مزروعة بين العمارات تكون مكانًا للعب الأطفال، وتخلق حياة اجتماعية مشتركة بين السكان، وكذلك تجميع عدة وحدات سكنية على فراغ مشترك في كل دور سكني لنفس الأسباب.

٨ ـ الاستغلال الأقصى لمسطح قطعة الأرض عن طريق إنشاء ناطحات سحاب تحتوي على مئات الوحدات السكنية، كما تحتوي طوابقها الأُولى على أسواق تجارية، وجراجات، وبنوك، ومبان إدارية.

فهل تمكن «الطراز الدولي» من تحقيق أهدافه؟

لو تتبعنا تحليل بعض نماذج هذا الطراز لوجدنا الآتي:

ـ لاحظ الكثير من المصممين عند التطبيق الفعلي، وجود تشابه

كبير بين المباني؛ على الرغم من اختلاف وظيفتها ونوعية المستعملين، وتباين الظروف البيئية، مما أدى إلى إلغاء شخصية المبنى، وافتقاد منطقية التصميم في بعض الأحيان. ففي شكل (١) يلاحظ وجود نسبة واحدة للمباني المصمتة والفتحات في الواجهة على الرغم من أن الواجهة الأُولى لعمارة سكنية، والثانية لفندق، وفي شكل (٣) يلاحظ وجود تصميم واحد للفتحات، وبعكس ما هو متعارف عليه، وما يتمشى مع منطق الأمور؛ كانت فتحات المبنى الإداري أقل من فتحات العمارة السكنية.

ـ عدم ملائمة الفتحات الزجاجية الواسعة لكافة الظروف البيئية، فبينما هي مستحبة في البيئات ذات درجات الحرارة المنخفضة والمستويات الدنيا من الإضاءة، نجد أن الفتحات مصدر إزعاج دائم في البيئات ذات درجات الحرارة المرتفعة والمستويات العليا من الإضاءة[٤]، مما أدى إلى رفع تكلفة المبنى بدّلا من خفضها.

ـ «برج النيل» بمحافظة الجيزة بمصر، الذي احتاج إلى مد حبل كهرباء خصيصًا من السد العالي بجنوب مصر؛ لتوفير تكييف الهواء المركزي، مما ضاعف التكاليف النهائية للمبنى، كما أن هذا المبنى اللامع عمل على عكس أشعة الشمس إلى المباني المجاورة مما اضطر سكانها لاستعمال أجهزة تكييف الهواء.

---

(٤) أثبتت الأبحاث أن الزجاج ينفذ الحرارة ٣٢ ضعف ما في طوب بسُمك ٢٥ سم ويحتفظ بها فلا ينفذها للخارج مرة أخرى. **(أد. بهاء بكري/ ١٩٨١)**

شكل (١)

فندق النبيلة كايرو بحي المهندسين بالقاهرة حيث يلاحظ وجود نسب واحدة للعلاقة بين المصمت والمفتوح في المبنيين على الرغم من اختلاف الغرض الوظيفي مما يدل على عدم وجود شخصية مميزة لأي منهما.

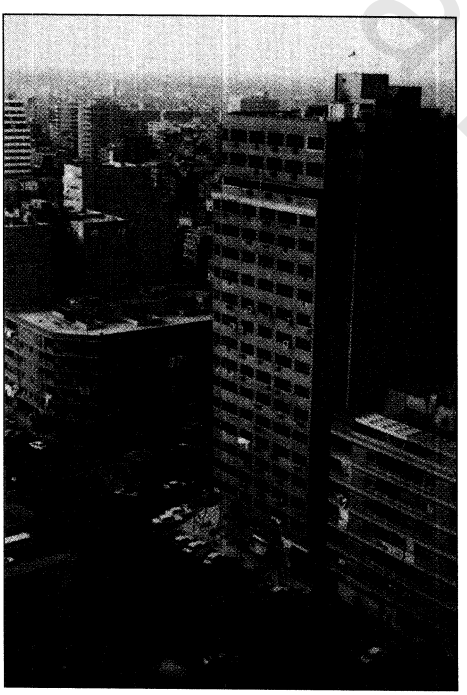

عمارة سكنية بحي المهندسين بالقاهرة .

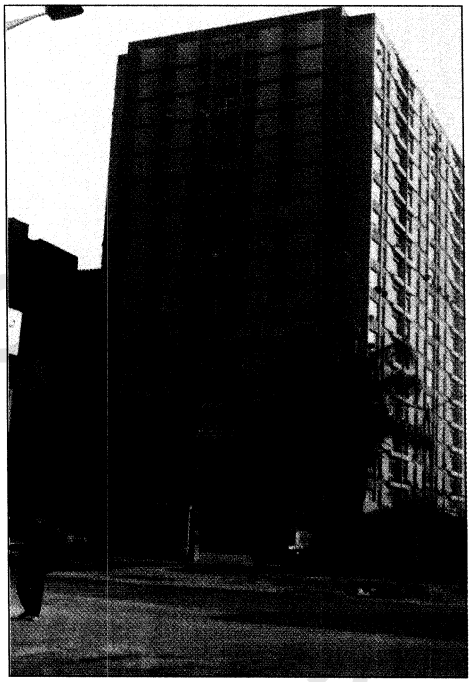

شكل (٢)

مبنى إداري بشارع أحمد عرابي - بحي المهندسين بالقاهرة

تصميم الفتحات واحد في المبنيين. وبينما قلّت نسب الفتحات في المبنى الإداري (يحتوي على مقر جامعة حلوان) زادت نسب الفتحات في المبنى السكني مما يفقد التصميم منطقيته.

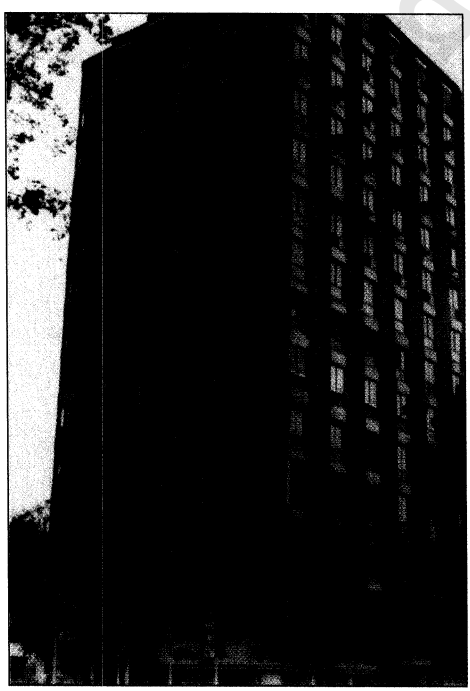

مبنى إداري بشارع أحمد عرابي بالقاهرة.

ـ ثبت أن تجميع مئات العائلات، وبالتالي الآلاف من الأفراد في مجمع سكني واحد له أضرار متعددة، فيحدث في بعض الأحيان ارتفاع معدل الجريمة والإصابة بالأمراض العصبية[٥]، وافتقاد روح المودة، لصعوبة تآلف عدد كبير من السكان، وافتقاد الشعور بالأمان لصعوبة التمييز بين سكان العمارة والأغراب.

ـ ارتفاع الكثافة السكانية في مشاريع الإسكان التي تحتوي على ناطحات سحاب، والتي وصلت إلى ٦٠٠ فرد/فدان[٦] يؤدي إلى التعرض لكارثة في حالات الطوارئ كالحرائق، والحروب، والكوارث الطبيعية[٧].

ـ الفراغ المشترك بين عدة شقق كان مصدرًا للإزعاج نتيجة اتخاذ الأطفال له كملاعب.

ـ وجود الأسواق التجارية والجراجات في نفس المبنى مع الوحدات السكنية ينزع الهدوء والأمان من قاطنيه، مما يفقد المسكن معناه.

ـ «مركز دافا» بميدان سفنكس بحي المهندسين بالقاهرة يحتوي على مجمع سكني، وسوق تجاري يحتل طابقين، بالإضافة لفرع بنك مصر، وعدة عيادات للأطباء، ومركز أشعة وموجات فوق صوتية، وباستعمال نفس المداخل وعناصر الاتصال الرأسية؛ يؤدي إلى خلط الاستعمال والمستعملين.

ـ إساءة تصميم واستغلال المناطق المفتوحة في الأحياء الاقتصادية، وإهمال صيانتها؛ أدى إلى تحول هذه المناطق المفتوحة إلى مواقع لتراكم القمامة والمخلفات، وبالتالي انتشار الأمراض، أو إلى حالات للتعديات،

---

(٥) ذكر العالم «أنطون شيندر» رئيس معهد «بيولوجيا البناء» بولاية بافاريا الألمانية أن السكن في المباني الحديثة يؤدي في بعض الأحيان للأرق والاضطرابات العصبية، وهو يعتقد أن ٩٠٪ من سكان المدن الصناعية يعانون من أمراض، بسبب الإسكان، وإغفال ظروف البيئة (وزيري/ ١٩٨٧).

(٦) د. حازم إبراهيم «الأحياء المتخلفة الاستثمارية» **مجلة عالم البناء** ١٩٨٧.

(٧) أقصى كثافة سكانية في أوروبا هي ١٥٠ شخص/ فدان بمدينة لندن.

ووضع اليد والبناء غير المرخص، حتى إن وحدات الإدارة المحلية في حي إمبابة بالقاهرة قامت ببناء محلات تجارية في هذه الفراغات للتخلص من مشاكل تدهورها، فنتج عن ذلك وضع أكثر سوءًا يتعدى على خصوصيات السكان.

- إن كثيرًا من مباني الطراز الدولي في مصر لا تمثل سوى مجرد خروج على التشكيلات التقليدية بتشكيلات مستوردة، بهدف إثارة الشعور بالانبهار، وذلك بدون دراسات للجدوى الاقتصادية، أو الظروف البيئية، أو نوعية المستعملين، وما يبعث فيهم الشعور بالرضا أو القلق والتوتر. فمبنى «كايرو بلازا» شكل (٣) على طريق كورنيش النيل بالقاهرة هو مبنى قاتم اللون، وموحش حتى إن بعض المارة من أمامه يعبرون الطريق إلى الرصيف الأوسط، ثم يعودون لاستكمال سيرهم بعد تخطيه.

فمعرفة الإنسان بالتكنولوجيا لا تعني حتمية استخدامها، فقد ذكر «رابو بور»: أنه على الرغم من معرفة قدماء المصريين بالقبو، فإنهم نادرًا ما استخدموه، لأنه لا يتفق مع أفكارهم، وآرائهم، ونظرتهم للمبنى.

ولم يقف الأمر عند اقتباس الطراز الدولي، ولكن تعداه إلى اقتباس بعض قوانين البناء الغربية، ووضعها في قوانين بنائنا، والتي تشكل قواعد صارمة لتنظيم عملية التصميم المعماري، يحاسب على مخالفتها أمام القانون. فمن ضمن البنود الرئيسية في قانون المباني المصري: البند الذي يسمح بأن يكون «ارتفاع المبنى مثل ونصف عرض الشارع»، فهذا القانون قد استعار الحد الأقصى للارتفاع من اشتراطات المباني بجزء صغير من منطقة وسط المدينة بباريس، وعند تطبيق هذا القانون في مصر، لم يراع المشرع أن زاوية ميل الشمس شتاء هي ٣٧° مع الأفقي في منتصف شهر كانون الأول/ديسمبر في وقت الظهيرة عند خط عرض ٣٠° شمالاً المار بالقاهرة؛ مما يؤدي إلى عدم دخول أشعة الشمس طوال أيام الشتاء إلى النصف السفلي للمبنى المقابل، ولا يخفى ما في ذلك من أضرار بالصحة العامة (شكل ٤)، وقد اتضح أنه لإمكان دخول أشعة الشمس إلى الأدوار السفلى للمباني، يجب أن لا يتجاوز

ارتفاع المبنى ٣/ ٤ مثل عرض الشارع، أي نصف الارتفاع الذي يسمح به القانون الحالي، أي أن اقتباس قوانين بناء من العالم الغربي بدون دراسة ظروف البيئة والمستعملين؛ أدى إلى عدم توفير الشروط الصحية لنسبة كبيرة جدًا من المساكن في مصر.

وكذلك زين العالم الغربي للحكومات الشرقية: إنفاق ثرواتها في بناء مدن جديدة تتبنى النظريات الغربية الحديثة، على الرغم من التعارض بين المفاهيم الاجتماعية والظروف البيئية، فالمدينة الغربية المعاصرة يعتمد تصميمها على تكوين الفكرة مقدمًا، وفرضها على التشكيل، بينما المدينة العربية التقليدية تعتمد في تصميمها على عادات الاستعمال لقاطنيها، والعرف الاجتماعي السائد، وقواعد السلوك للسكان وتغير هذه العناصر هو الذي يتحكم في أي تغيير بالنسبة للتصميم، وعلى هذا فتصميم المدينة المعاصرة يضع مفاهيم معينة للاستعمال لا تكون بالضرورة متطابقة مع قواعد الاستعمال المقبولة للسكان، فيؤدي ذلك إلى ازدواجية في القرارات بين الهيئات، أو إلى تحدي السكان لتلك القواعد الموضوعة، على سبيل المثال: أشكال(٥).

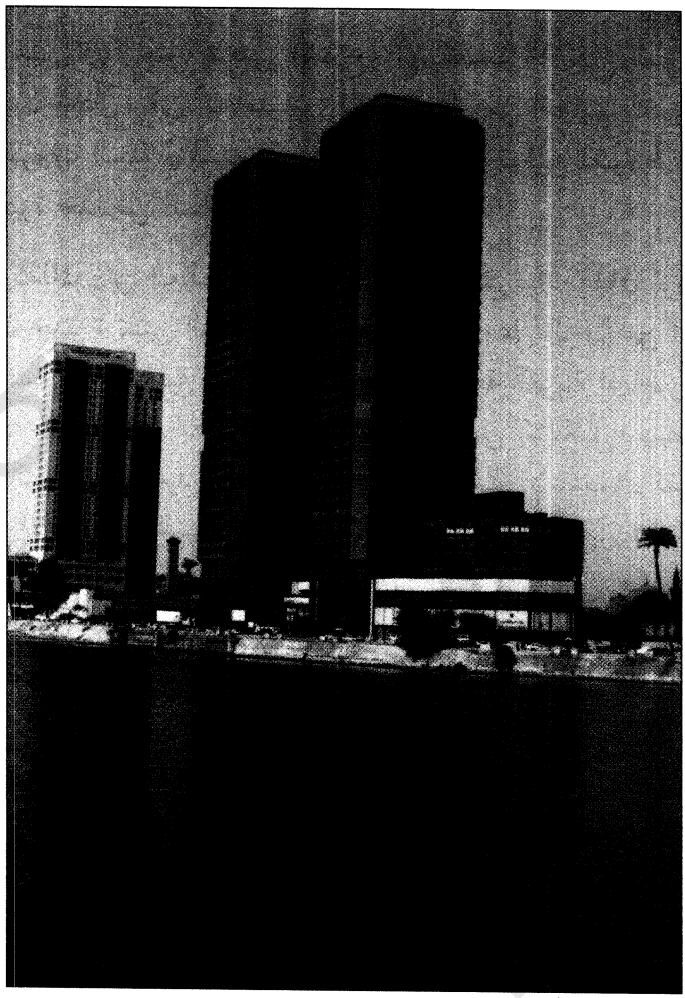

مبنى كايرو بلازا ـ كورنيش النيل بالقاهرة.
وهو مبنى إداري قاتم اللون، ويمثل الاتجاه لاستيراد كل ما هو جديد وغريب وغير مألوف على البيئة المصرية.

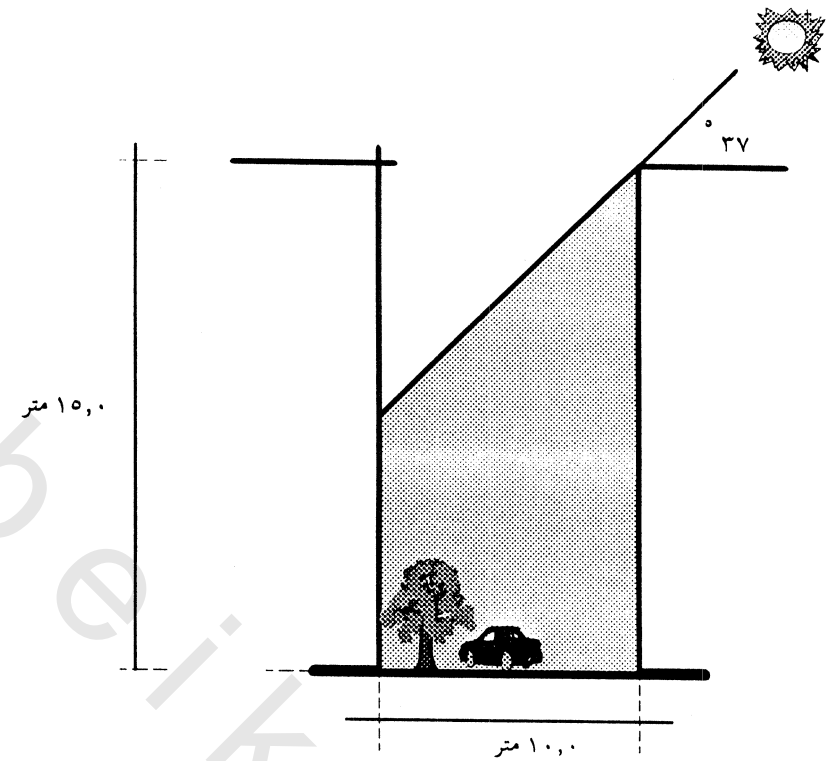

الارتفاع الذي يسمح به قانون المباني لا يسمح بدخول الشمس لنصف المبنى المقابل.

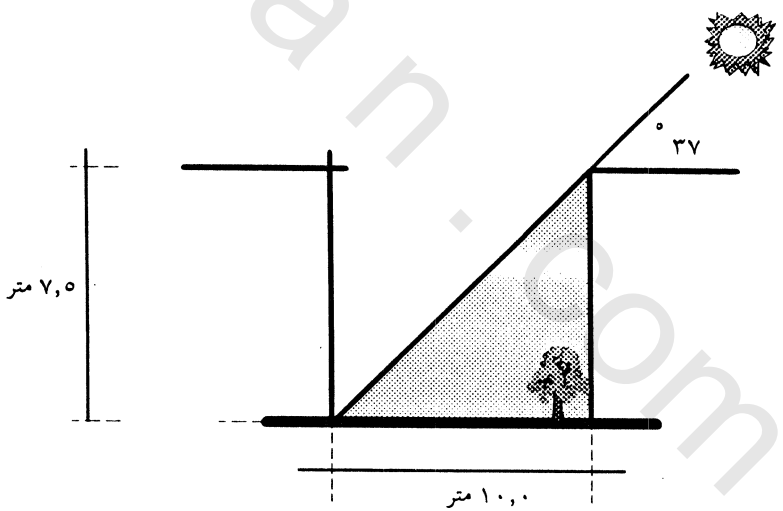

الارتفاع الذي يسمح بدخول الشمس للمبنى المقابل.

مقارنة بين ما يسمح به قانون المباني في مصر وما يجب أن تكون عليه الارتفاعات المسموح بها.

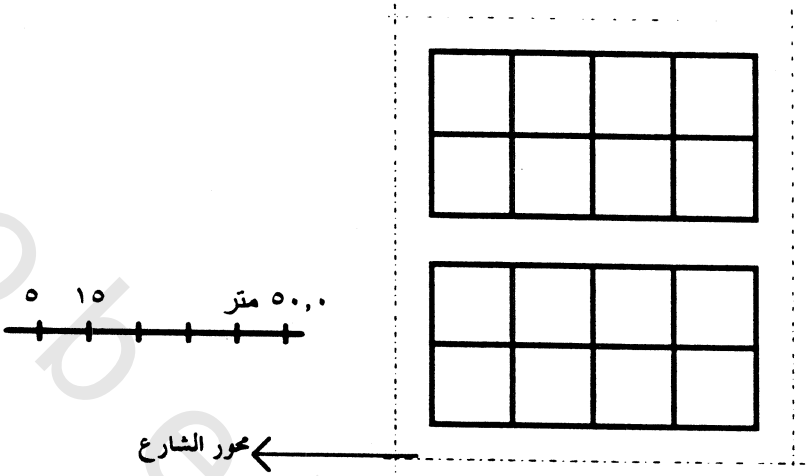

نموذج لتقسيم الأراضي في المناطق السكنية لمسطح ١ هكتار وتحتوي على ١٦ قطعة سكنية مساحة كل منها ٤٠٠ متر^{٢} ويحيط بها مجموعة من الشوارع بمتوسط عرض ١٠ : ٢٠م.

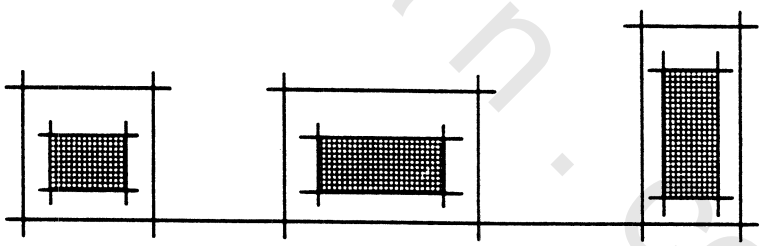

نموذج لتحديد الجزء المبني من قطعة الأرض في ثلاث قطع أراضي بمسطحات ٤٠٠ : ٦٠٠ م^{٢} ويلاحظ فرض ارتدادات خارجية من الجهات الأربع لقطعة الأرض.

شكل (٥)

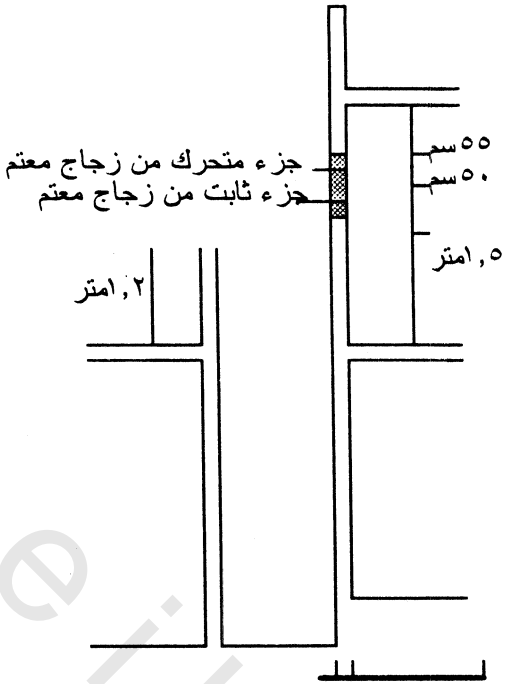

قطاع يوضح معالجة النافذة لحماية الخصوصية بعمل فتحة النافذة على ارتفاع ١,٥ م مع انقسامه جزءين: جزء ثابت من زجاج معتم بارتفاع ٥٠ سم وجزء متحرك من زجاج معتم بارتفاع ٥٥ سم.

قامت مجموعة استشارية من أثينا تحت إشراف المهندس «دوكسيادس» بوضع مخطط تصميمي لمدينة الرياض عام ١٩٧٠، وقد اهتمت الاشتراطات البنائية والتخطيطية التي وضعتها تلك المجموعة بصفة أساسية بتحديد الكثافة السكانية، وارتفاعات المباني، وعرض الشوارع، وفرض ارتدادات خارجية للمبنى عن حدود قطعة الأرض، وتقسيم استعمالات الأراضي وغيرها، وتجاهل عادات وتقاليد المجتمع والعرف الاجتماعي السائد.

وقد أدى التنفيذ الفعلي لاشتراطات البناء إلى وضع يتعدى بشدة على خصوصيات السكان، ولا يحترم الظروف البيئية لمدينة الرياض، وبمرور الوقت امتد ذلك الوضع ليشمل كل مدن السعودية، وقد لجأ السكان الذين رفضوا التعدي على خصوصياتهم إلى بديلين:

(أ) اللجوء للقضاء لرفع شكاوى ضد جيرانهم، وقد استمرت المحاكم في السعودية في إصدار أحكام في معظم القضايا بأنه ليس من حق أحد التعدي على خصوصية جاره، مع إهمال متطلبات التخطيط وتعليمات البلدية، مع إصدار أحكام تلزم الجار بالمحافظة على خصوصية جاره، ومثال ذلك: قضية رفعت في صفر ١٤٠٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠، وهي تخص منزل توفرت له شروط الارتدادات التي نص عليها المخطط، وأجيز تصميمه من قبل البلدية، وقد قدم جاره شكوى، لأن هذه الفتحات ـ الموجودة في الدور الثاني لمنزل جاره ـ تتعدي على خصوصيته، فأمر القاضي المتنازعين بالوصول إلى صلح يرضي الطرفين، فاستطاعا أن يصلا إلى اتفاق يلزم المالك الجديد بتغيير تصميم النوافذ (شكل ـ ٦)، وطبيعة الاتفاق توحي بأنه لو ترك للقاضي الأمر، لأمر بإغلاق النوافذ.

(ب) البديل الثاني: لجوء العديد من سكان الفيلات المتجاورة، والتي تشترك في سور ترتد كل اثنتان عنه بمسافة ـ تبعًا لمتطلبات التخطيط ـ فينتج عن ذلك فراغ، فلكي يتمكن أحدهما من استعمال هذا الفراغ بدون أن يكون مرئيًا من جاره، قام باستعمال إطار من الحديد، ومسطح من البلاستيك يمتد أعلى السور الفاصل.

وعلى هذا فاقتباس طرز تصميمية من العالم الغربي، أو قوانين منظمة لعملية التصميم المعماري، أو نظريات تخطيطية بدون دراسة البيئة واحتياجات السكان، أثبت عدم نجاحه، فإذا فكرنا في إيجاد بديل للطراز الدولي، والنظريات الغربية، يناسب مجتمعنا ببيئته المميزة له وتقاليده، وقيمه، وسلوكيات أفراده، ويستجيب لاحتياجاته، سنجد أن الدين الإسلامي يشكل أهم المعتقدات التي تخلق اتجاهات متشابهة لاحتياجات المستعملين وسلوكياتهم، كما أن توجيهاته تضع أقوى الأسس المشتركة بين أفراد مجتمعنا المصري والإسلامي.

فهل تعرضت تعاليم الإسلام بتوجيهات محددة تؤثر على تصميم المسكن؟ وما هي تلك التوجيهات؟ وكيف نترجمها إلى أسس تصميمية؟

إن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة، فقد اهتمت بتنظيم شتى شؤون حياة الإنسان المسلم، ولم تقتصر على تحديد نوعية العبادات له وذلك مثل: أمور الزواج، والطلاق، والميراث، والتجارة، والمعاملات الاجتماعية، ومن ضمن تلك الأمور الحياتية وجدت توجيهات اجتماعية يمكن ترجمتها إلى أسس تصميمية تؤثر لحد كبير على التصميم المعماري والتشكيل الفراغي للمسكن ـ كأحد أنماط العمارة على سبيل المثال ـ وهذا الاتجاه المتمثل في دراسة تعاليم الإسلام الاجتماعية المؤثرة على التصميم المعماري، وترجمتها لأسس تصميمية، لتشكل الخطوط العريضة لطراز محلي معماري لمجتمعنا الإسلامي، هذا الاتجاه على الرغم من أنه الاتجاه المنطقي لنا كشعب مسلم يجعل من القرآن الكريم دستورًا لحياته، وتنص إحدى آياته على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إلا أن هذا الاتجاه حديث الظهور، والاهتمام به ينحصر في قلة قليلة جدًا على مستوى العالم الإسلامي ككل، ولا يزال الموضوع يحتاج إلى المزيد من بذل الجهد والدراسة الجادة، لإجلاء جميع جوانبه، ووضع أسس تصميمية لطراز محلي معماري، يلبي احتياجات الإنسان المسلم، ويتناسب مع الشريعة الإسلامية.

وكمحاولة متواضعة لتلخيص أهم تعاليم الإسلام الاجتماعية التي تؤثر على تصميم المسكن نجد أنها:

١ ـ احترام الخصوصية وستر العورات

فالخصوصية من المفاهيم ذات التعريفات والمستويات المتعددة[٨]

---

(٨) أغلب تعريفات الخصوصية تدور حول فكرتين: (أ) فكرة الانعزال، وتجنب المعاملات الاجتماعية. (ب) فكرة تحديد أو تنظيم أو التحكم في المعاملات الاجتماعية (م. ماجدة عبيد «**التطور الاجتماعي في مصر**» القاهرة: ١٩٨٦، ص٤٦).

والتي تختلف من مجتمع لآخر، وفي مجتمعنا الإسلامي، فإن للمرأة وضع خاص، فقد أمر الله ـ سبحانه ـ النساء بارتداء الحجاب أمام الرجال الغرباء[٩]، مما يجعل للخصوصية أهمية قصوى في التصميم، بالإضافة للعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على احترام خصوصية المسلم في داره، وتنهي عن تتبع عوراته[١٠].

والخصوصية على مستوى المساكن يمكن معالجتها عن طريق «معالجة الفتحات الخارجية» ويتم بعدة وسائل منها:

(أ) التحكم في ارتفاع الفتحة ذاتها.

(ب) معالجة الفتحات بتطويع التكنولوجيا كما في (الأشكال: (٧)، (٨)).

(جـ) تبادل الواجهات مما يؤدي لزيادة مسافات الرؤية (شكل ـ (٩))، وغيرها.

أما الخصوصية على المستوى الداخلي للمسكن فتتحقق عن طريق:

(أ) معالجة المدخل الخارجي: عن طريق وجود قاعة مدخل ـ شبه مغلقة ـ تقوم بالتوزيع على فراغات المسكن، لعدم التعدي على خصوصية حركة أهل المسكن.

(ب) توفير أماكن لاستقبال الضيوف الرجال بعيدًا عن حركة أهل المسكن.

(جـ) التوجيه الداخلي للمسكن، فمن الممكن أن تطل فراغات المسكن على (تراسات) مزروعة تتجه لقلب الوحدة السكنية بدلاً من

---

(٩) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

(١٠) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧].

الشوارع المحيطة، كما يمكن أن تحتوي وحدات سكنية من ثلاثة أدوار على فناء داخلي، مع معالجة خطوط الرؤية (شكل ـ ١٠).

(د) ضرورة الفصل بين نوم الوالدين والأبناء، وكذلك ضرورة الفصل بين نوم البنين والبنات بعد سن البلوغ، مما يؤكد أهمية توفير مرونة الامتداد المستقبلي للوحدة.

٢ ـ مراعاة الجوانب الاقتصادية والدعوة لعدم الإسراف

حرص الإسلام على غرس قيم التجرد والتقشف، حتى مع سعة الرزق في روح معتنقيه؛ خشية أن ينغمس المجتمع الإسلامي في البذخ فتنهار قوته وحضارته، والإسلام يعتبر الإنفاق في شؤون البناء من الأمور الحساسة، فإذا تجاوز الإنفاقُ أداء وظيفة المبنى، يدخل في نطاق التبذير[١١]، ويخرج بأموال المسلمين عن دورة الاقتصاد الموجه لبناء المجتمع[١٢]، وعلى هذا فجميع دراسات الجدوى الاقتصادية، والدعوة لاستخدام مواد محلية «الأقل تكلفة»، مع الاعتدال في استخدام عناصر النمو الخارجي يتمشى مع تعاليم الإسلام.

٣ ـ الحثّ على البساطة والنهي عن المغالاة في الزخارف

أباح الاسلام التزيين والتجميل كمبدأ عام، سواء تزيين النفس، أو الملبس، أو المسكن[١٣]، وإنْ وضع شروطًا حتى يضمن عدم الغلوّ[١٤]

---

(١١) التبذير كما يفسره «ابن مسعود» هو: «الإنفاق في غير حق (سيد قطب، في **ظلال القرآن** ١٩٧٤)».

(١٢) قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].
المعنى: ينذر سيدنا هود قومه من الاهتمام بالبناء. وزيادة عناصره، كأنهم سيعيشون عمرًا طويلًا بعمل البناء، وينسون الحساب في الآخرة.

(١٣) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢].

(١٤) غلا في الأمر غلوًا أي جاوز حده (الفيروزآبادي/ تودي ٨١٧ هـ).

في هذا التزيين كما أن تعاليم الإسلام قد نهت المسلمين عن التماثيل والتصاوير[١٥]، وأباحت التحوير والتجريد لكل ما لا نفس به[١٦]، ولذلك برع المسلمون في التحوير والتجريد من الأشكال النباتية والهندسية وفنون الخط[١٧].

---

(١٥) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر»**. **(أخرجه البزار عن حديث أنس)**

يقول الإمام الشيخ أحمد المقدسي في **مختصر منهاج القاصدين** في كتاب شرح عجائب القلوب في فصل مداخل إبليس في قلب الإنسان: «ومن أبوابه: حب التزيين في المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار، وتزيين سقوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك».

(١٦) أفتى ابن عباس رجلاً يعمل في التصوير بأنه سمع من رسول الله ـ ﷺ ـ: **«كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا تعذبه في جهنم»** وقال: **«إن كنت ولا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له»**.

(١٧) من الزخارف الخطية ما عرف بالخط الكوفي، والفارسي، والديواني وغيرها.

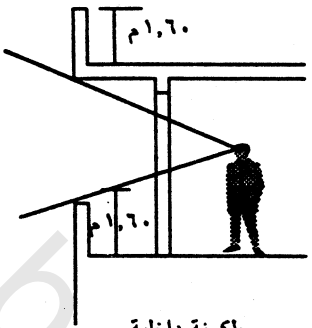

بلكونة داخلية

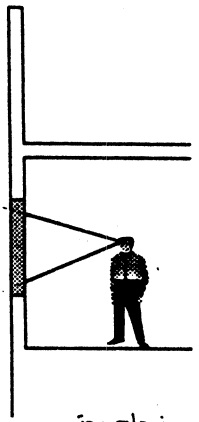

زجاج معتم

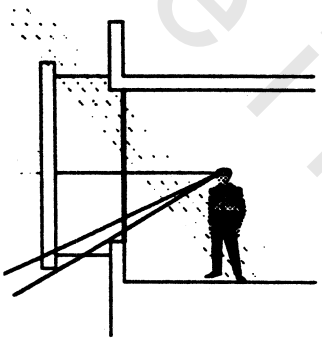

معالجة مماثلة للمشربية

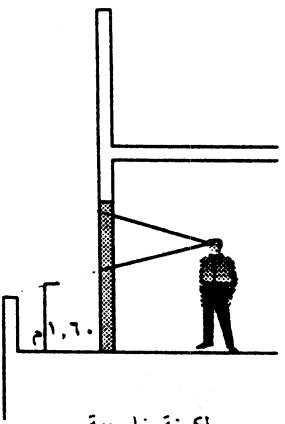

بلكونة خارجية

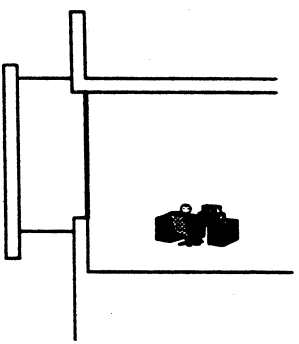

قطاع

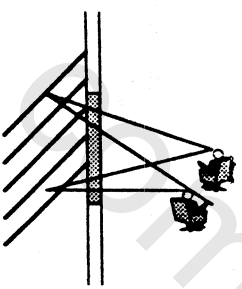

مسقط أفقي

استخدام كاسرات الشمس

نماذج معالجات مختلفة للفتحات للحفاظ على الخصوصية

(Al - Hathloul, 1981)

شكل (٧)

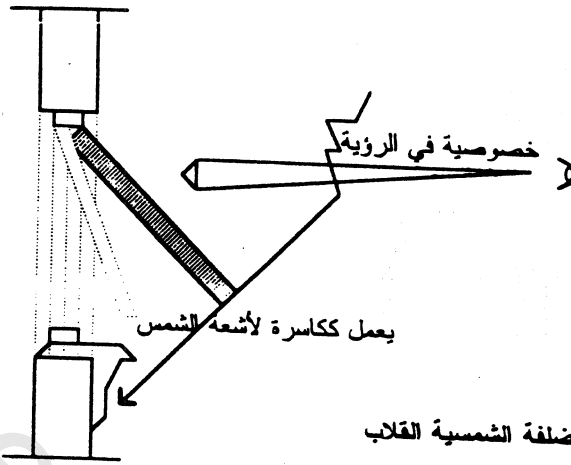

مزايا الضلفة الشمسية القلاب

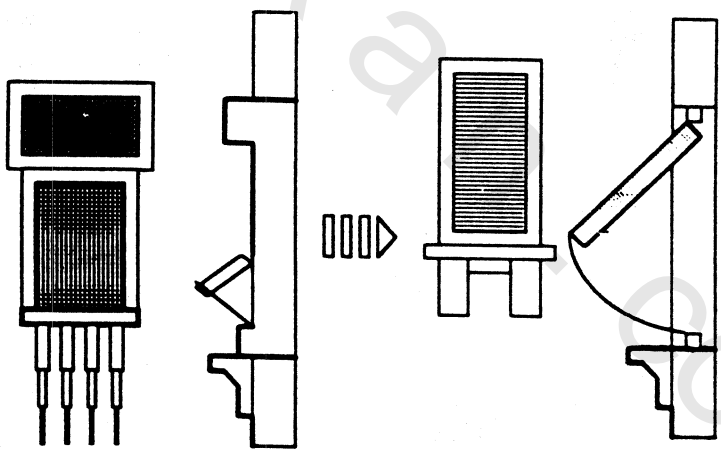

المشربية التراثية

الشباك المستخدم

إحدى المعالجات المعاصرة المستوحاة من المشربية التراثية

وهي فكرة الضلفة الشمسية القلاب للمحافظة على الخصوصية.

أ. د. الشافعي ١٩٨٧

شكل (٨)

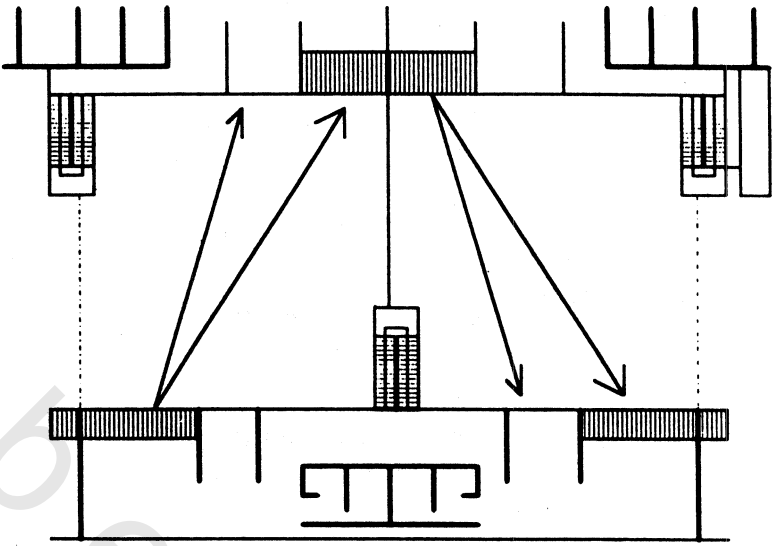

زيادة طول مسافات الرؤيا بين الفتحات و(التراسات) عن طريق تبادل الوجهات المتبع في الموقع العام

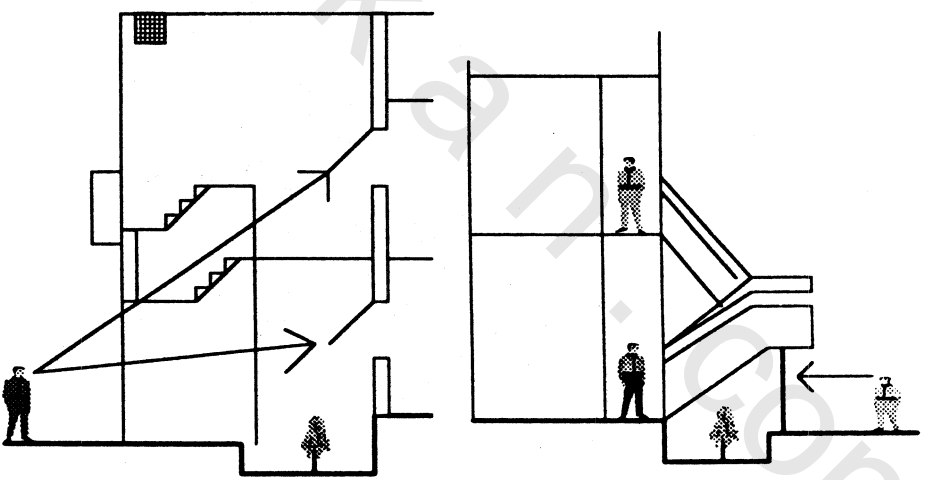

السور الخاص بالوحدات السكنية كعامل لتحقيق الخصوصية للوحدات السكنية للطوابق الأرضية

تحقيق الخصوصية خارج الوحدات

معالجات مختلفة لخطوط الرؤيا بين الفتحات للحفاظ على الخصوصية

أ.د. الشافعي ١٩٨٧

شكل (٩)

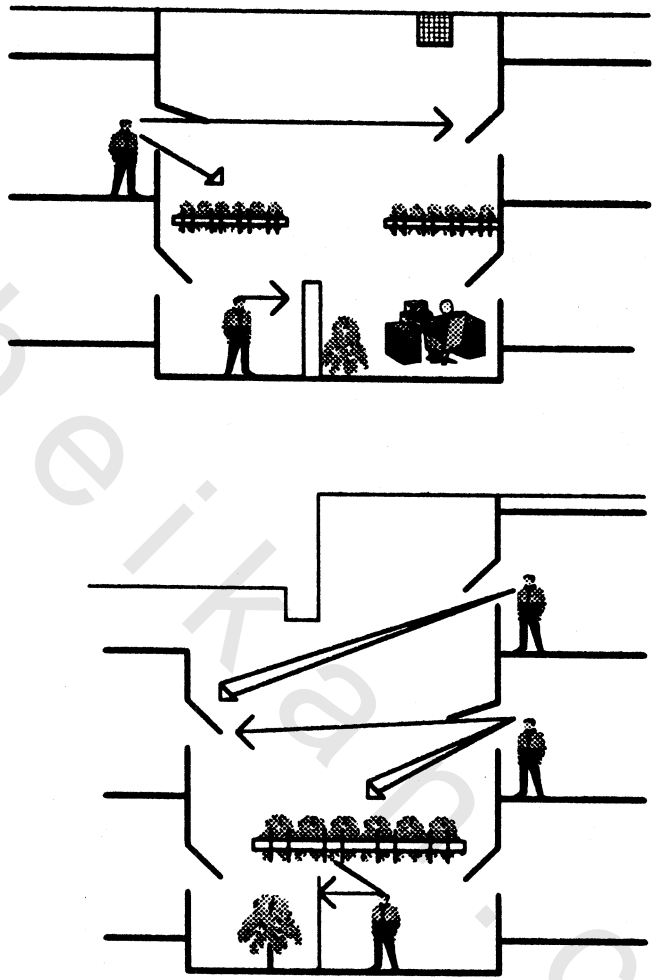

توضيح أسلوب معالجة خطوط الرؤية لتفادي جرح سكان الطابق الأرضي

أ. د. الشافعي ١٩٨٧

شكل (١٠)

٤ ـ إباحة الترويح النفسي والتمتع بالقيم الجمالية

تعاليم الدين الإسلامي لا تتعارض مع الترفيه النفسي أو الجسدي، ما دام في إطار القيم الإسلامية، فقد وصى رسول الله ـ ﷺ ـ بسعة المسكن على أنها من السعادة[١٨]، كما أعطى القرآن الرؤية الجمالية للبيئة المثالية في وصف الجنة[١٩]، مما جعل المسلم يأنس لوجود الحدائق سواء بمسكنه، أو بالمناطق المحيطة، فتمثل ذلك في الأفنية الداخلية المزروعة في العصور الأُولى، أو حتى بعد تعدد الطوابق، احتوت بعض المباني على حدائق مزروعة ومزودة بنافورة، أو أن يملأ (التراسات) بأصص الزرع والرياحين، فوجود الحدائق والمزروعات في المنزل أو المناطق المحيطة ليس وسائل كمالية أو رفاهية زائدة عن الحد. بل إن لها دورًا كبيرًا في الترويح النفسي، وتجديد القدرة على مواصلة السعي. كما حرص الإسلام على تحويل الإحساس بالجمال إلى قيمة إيجابية في الدعوة للعناية بنظافة الشكل والملبس، والمحيط الخارجي[٢٠].

٥ ـ تجنب مصادر التلوث البيئي

يدعو الدين الإسلامي إلى تجنب مصادر الضرر؛ حرصًا على خلق مجتمع تسوده المودة والتكافل والتعاون[٢١] مثال ذلك:

٥ ـ ١ ـ تجنب المصادر المولدة للأدخنة: فلم تسمح مجتمعات المسلمين بوجود استعمالات مولدة للأدخنة: كالحمامات العامة، والمخابز، وطواحين الأسواق مجاورة للكتل السكنية.

٥ ـ ٢ ـ تجنب المصادر المولدة للروائح الكريهة: فقد حرص الرسول ـ

---

(١٨) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهني»**. (ابن حبان في صحيحه).

(١٩) قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧ ـ ٣٣].

(٢٠) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة»**. **(رواه الطبراني)**

(٢١) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«لا ضرر ولا ضرار»**. **(رواه أحمد وابن ماجه)**

ﷺ ـ **على أن يكون مجتمع المسلمين طيب الرائحة**، جذاب المجلس[٢٢]، فاتخذ القضاء الإسلامي نفس الموقف من الاستعمالات المولدة للروائح الكريهة: كمدابغ الجلود في ضرورة نقلها خارج نطاق الكتلة السكنية.

٥ ـ ٣ ـ تجنب مصادر التلوث الصوتي: فقد حثّ الإسلام المسلمين على خفض أصواتهم؛ حتى لا يزعج بعضهم بعضا[٢٣]؛ مما جعل علماء وقضاة التشريع الإسلامي يتصدون بحسم لوجود مصادر إزعاج صوتي مثل: الطَّرق على المعادن، وطحن الحبوب، والأسطبلات داخل الكتل السكينة[٢٤].

ننتقل بعد ذلك إلى انعكاس تعاليم الإسلام على بعض عناصر تصميم المسكن وهي:

١ ـ التشكيل الخارجي

التشكيل الخارجي الذي يتناسب مع نفسية المسلم، يمكن أن ينطلق من المفهوم الاجتماعي في الإسلام مثل: الصدق[٢٥]، وذلك في التعبير الصريح عن طبيعة مواد البناء، وطريقة الإنشاء، ووظيفة المبنى، والعفوية، والتلقائية، والبساطة[٢٦]، ثم التواضع، ولين الجانب[٢٧].

ولا بد أن نؤكد هنا على خطأ الاعتقاد السائد من أن الارتباط بتشكيلات القبة والقبو والعقد والمشربية والفناء، هو ارتباط بتعاليم

---

(٢٢) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من أكل ثومًا أو بصلا فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا**». **(رواه جابر ومتفق عليه)**

(٢٣) قال تعالى: (في وصايا لقمان لابنه): ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان: ١٩].

(٢٤) حثّ تعاليم الإسلام على تجنب التلوث البيئي، يؤكد على ضرورة الاهتمام بالعزل الصوتي، وتجميع الخدمات، والاهتمام بالصرف الصحي.

(٢٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

(٢٦) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**ما خُيّر رسول الله ـ ﷺ ـ بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه**». **(متفق عليه)**

(٢٧) قال تعالى (في وصايا لقمان لابنه): ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان: ١٨].

الإسلام، لأن كل ذلك رموز شكلية، والإسلام يهتم أساسًا بالجوهر والمضمون، أما الشكل فتفرزه عوامل بيئية وتكنولوجية متغيرة، وإن كانت استعارة تلك الأشكال مع تطويرها يمكن أن يجعل لعمارة المسلمين طابعًا مميزًا، مع التأكيد على كونها مجرد تشكيلات خارجية ليس لها أولوية في التصميم، بل الأولوية للالتزام بتعاليم الدين الإسلامي ذات التأثير على تصميم المسكن.

٢ ـ الارتفاعات

يحترم الإسلام الملكية الفردية ويبيح لكل شخص الارتفاع بمبناه؛ بشرط التأكد من أن فعله لن يتعدى على خصوصية جاره أو يحجب الشمس والرياح عنه[٢٨]، ولذا نجد أن مدن المسلمين الأُولى تميزت بارتفاعات متقاربة، كما اعتمد التصميم فيها على المقياس الآدمي فوجد: الشبر، والذراع، والخطوة، مما أوجد نسبًا، إنسانية مريحة، كما كانت العلاقة بين عرض الشارع وارتفاع المبنى (١ : ٣)، (١ : ٤) مما وفر خصوصية، وتهوية.

٣ ـ التصميم العمراني

تعرضت تعاليم الإسلام إلى بعض عناصر التصميم العمراني وهي:

٣ ـ ١ ـ تحديد عرض الطريق: فقد قضى الرسول ـ ﷺ ـ بأن أقل عرض للطريق سبعة أذرع[٢٩]، وبدراسة هذا العرض وجد أنه يسمح لجملين محملين بالكامل بالمرور متجاورين، وباعتبار أن الجمل هو وسيلة المواصلات في عهد الرسول ـ ﷺ ـ، يكون أقل عرض للطريق هو ما يسمح بمرور سيارتين متجاورتين، مع وجود أرصفة للمشاة، وهو عرض يتراوح بين ٨ : ١٠ أمتار[٣٠].

---

(٢٨) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«أتدرون ما حق الجار؟... ولا تَسْتَعْلِ عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه»**. **(ابن عدي عن عمرو بن شعيب)**

(٢٩) قضى رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إذا تشاجروا في الطريق الميتاء بسبعة أذرع»**. **(رواه الزبير عن أبي هريرة)**

(٣٠) جرى تخطيط شوارع الكوفة، بحيث تلتزم بعرض الطريق، كما حدده الحديث، مع اشتراط عدم الارتفاع عن طابق، مما يزيد الإحساس باتساع الشوارع.

٣ ـ ٢ ـ معالجة مداخل المساكن: فمن ضمن الأمور التي مارسها المسلمون في العصور الأُولى، وحرص المشرعون على احترامها هي: عدم تقابل مداخل المساكن؛ احترامًا للخصوصية، واستجابة لتعاليم الإسلام في الإحسان للجيران.

٣ ـ ٣ ـ توفير الإضاءة والهواء النقي: سمح عمر بن الخطاب بالاحتفاظ بنوافذ علوية تدخل الإضاءة والهواء النقي، حتى لو كره الجار هذا الفعل؛ ما دامت لن تتعدى على خصوصيته.

٣ ـ ٤ ـ وجود طابع وانسجام بالمنطقة: أوصى الإسلام بالتأكيد على مبادئ الإخاء الجميل بين الجيران[٣١]، واستجابة لذلك نشأ في التشريع الإسلامي «نظام الشفعة»؛ الذي يعطي للجار الأولوية في شراء منزل جاره أو أرضه لو رغب الأخير في بيعها، مما أدى إلى محدودية الملكية بكل منطقة، فأضفى ذلك طابعًا وانسجامًا، كنتيجة غير مباشرة للتشريع.

٣ ـ ٥ ـ اختيار موضع السكن: وضع المشرعون قواعد للحكام المسلمين عند اختيار موضع الكتل السكنية منها: وفرة المياه العذبة، واعتدال المكان، وجودة الهواء، وتوفير الحماية والأمان، وذلك لتوفير الشروط الصحية للمسكن، لتفيد صحة السكان وأمزجتهم، مع البعد عن المناطق المنخفضة؛ لأنها تورث كربًا وهمًّا وتنشر الخمول بين السكان. فقد ربط المسلمون بين المناخ وجودة الهواء، والحالة الصحية والنفسية للإنسان؛ مما يؤثر على نشاطه وإنتاجه، فاختاروا لمدنهم أفضل ناحية في البلاد، وأفضل مكان في الناحية، وأعلى منزل في السواحل والجبال، ومهب الرياح من الشمال؛ وذلك حرصًا على صحة السكان، وأمزجتهم.

مما سبق يتضح أن تعاليم الإسلام قد تعرضت بتوجيهات اجتماعية تؤثر على تصميم المسكن، ويمكن ترجمتها إلى أسس تصميمية، وذلك بدون تحديد أسلوب تحقيق تلك التوجيهات مما يترك المجال للتكنولوجيا الملائمة لكل عصر، بشرط عدم تجاهل هذه التعليمات أو التعارض معها.

---

(٣١) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».**
(عن ابن عمر وعائشة ـ متفق عليه)

وعلى هذا ستكون أهم توصيات البحث هي:

١ ـ أن تكون تعاليم الإسلام بخصوص المسكن هي الأساس عند وضع أسس عمارة محلية تلبي احتياجات المسلم.

٢ ـ الاهتمام بدراسة العمارة في عصور الإسلام الأُولى من منظور تحليلي، وليس وصفي، مع تشجيع الأبحاث المتخصصة.

٣ ـ ضرورة رفع وعي المعماريين، وموظفي هيئات المباني، والمسؤولين عن قوانين البناء، وأفراد المجتمع عمومًا بتعاليم الإسلام بخصوص المسكن.

٤ ـ المراجعة الشاملة لقوانين المباني، وإعادة تقييمها من خلال تعاليم الإسلام، وظروف البيئة.

٥ ـ الاهتمام بإنشاء هيئة متخصصة تقوم بصياغة تعاليم الإسلام بخصوص المسكن في قيم تصميمية وطرحها للدراسة والتطبيقات الفعلية، ثم إعادة التقييم، والتطوير وهكذا حتى نصل إلى الصيغة المعاصرة لتطبيق تعاليم الإسلام بخصوص المسكن.

وعلى هذا نجد أن الشعوب لا تستطيع مواجهة مشاكلها بحلول جزئية متفرقة لا تجمعها تصورات أساسية للكون، والحياة، والإنسان، وحاجاته، ومصالحه، والكثرة من أبناء الأمة الإسلامية تحس إحساسًا قويًا بأن «الإسلام» في جوهره، وقيمه العليا، وسماحته، هو أصلح الأسس لتوجيه النهضة المعاصرة، وقيادة الأُمة نحو التقدم والازدهار، ولكن هذا الإحساس يخالطه الخوف من الانحصار في الماضي، وعدم القدرة على التعامل مع الواقع، والتشدد، والعزلة، والتزمت.

ولذا كان واجب المثقفين والعلماء من أبناء أمتنا، سرعة العمل على وضع صياغة للتطبيق المعاصر لأصول الإسلام، وكيفية الربط بين توجيهاته وبين شتى شؤون حياتنا المعاصرة، حتى يكون ذلك هو الأساس الذي تنطلق منه أمتنا لتتبوأ مكانها في صدارة الأمم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ونسأل الله التوفيق وتسديد خطانا لما فيه الخير دائمًا.

المراجع العربية والأجنبية

المراجع العربية

* أ. د. إبراهيم عبد الباقي
«المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية».
مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ـ القاهرة: ١٩٨٦.

* أ. د. أبو المجد، أحمد كمال.
«رؤية إسلامية معاصرة ـ إعلان مبادئ» القاهرة: دار الشروق ١٩٩١.

* الفيروز آبادي/ مجد الدين محمد بن يعقوب.
«القاموس المحيط» (توفي ٨١٧هـ).

* الشيخ قطب سيد.
«في ظلال القرآن» بيروت: دار الشروق ١٩٧٤.

* م عبيد/ ماجدة إكرام.
«التطور الاجتماعي في مصر وتأثيره على المسكن المعاصر». رسالة ماجستير بكلية هندسة القاهرة ـ ١٩٨٦.

* الإمام المنذري زهي الدين عبد العظيم.
«الترغيب والترهيب» القاهرة: مكتبة الإرشاد (توفي ٦٥٦ هـ).

* أ. يس عبد الجواد.
«تطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر». بحث في بدايات التوجه الغربي.
القاهرة: كتاب المختار ١٩٩١.

* م. حجازي/ سهير محمد.
«تعاليم الإسلام وتصميم المسكن ـ دراسة تحليلية». رسالة ماجستير بكلية هندسة القاهرة ـ ١٩٩١.

المراجع الأجنبية

Dr. Al - Hathloul, Saleh Ali.
Tradition, Continuity and change in the Physical Environment: The Arab muslim city, Ph. D. in Arch., Harvard Univ., 1981.

أبحاث:

- أ. د. الشافعي/ محمد سامي.
«دراسات مسابقة مدينة المهندسين».
العامرية الجديدة ـ ١٩٨٧.

محاضرات:

- أ. د. بكري/ بهاء.
«التحكم البيئي».
محاضرات لطلبة الصف الأول قسم عمارة/ هندسة القاهرة: ١٩٨١.

الدوريات:

- د. إبراهيم/ حازم: «الأحياء المتخلفة الاستثمارية»، **مجلة عالم البناء** عدد ١٨١مركز الدراسات التخطيطية ـ القاهرة: ١٩٨٧.
- م. بباوي/ مراد غالب، وفرج/ مليكة. «مبنى سكنى وإداري بمصر الجديدة». **مجلة عالم البناء** عدد ٨٠ ـ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ـ القاهرة: ١٩٨٧.
- م. وزيري/ يحيى حسن. «النظرية الفردوسية في العمارة الإسلامية». **مجلة عالم البناء** عدد ٦٨ ـ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ـ القاهرة: ١٩٨٦.